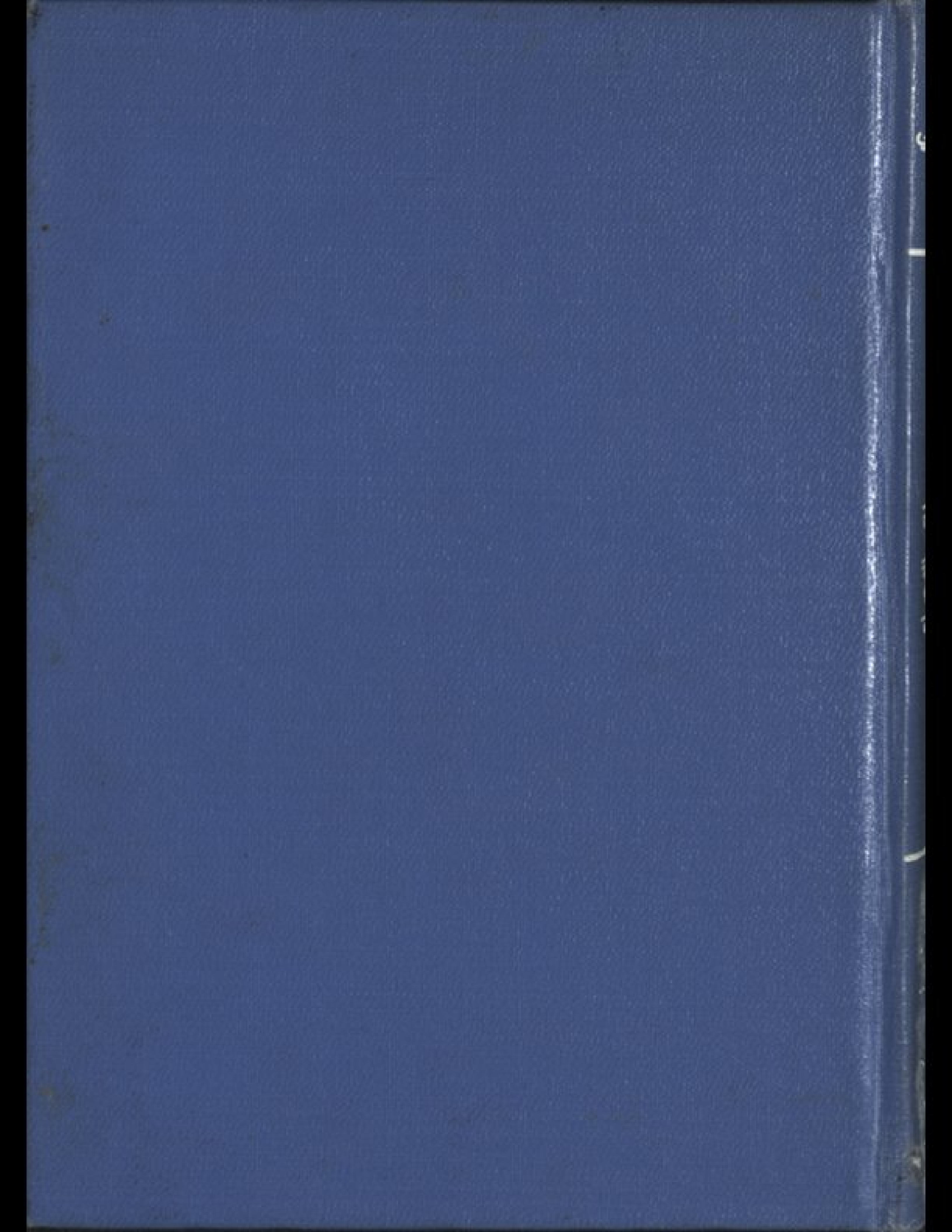




امين الريحاني

مطبعة الكشاف بيروت

فهرس

صفحة

قلوب تذوب ٤
داء البكاء ٦
عشر وصايا للشعراء ٩
ربة الشعر ١٠
الشاعر والوطن ٢٠
الشاعر والفيلسوف ٢٨
الالم الشخصي والقومي ٣٧
الدموع ٥٢
دموع الشاعر ٦٢
ندب وانتداب ٧٥
خمس عشرة وصية اخرى للشعراء ٨٩

قلوب تذوب

« في هذه البلاد الشرقية كثير من القلوب اللينة المترهلة ، بل القلوب المائعة الذائبة . قلوب تذوب كلما ناح الحمام ، قلوب تميع كلما اهتز الورد في الاكمام ، قلوب تسيل هياماً كلما تلألأت شمس الاحلام — قلوب مائعة ذائبة على الدوام .

قلوب تذوب كلما هبت ريح الصبا ، تذوب في الليالي المقمرة ،وعند كل ساقية او غدير . تذوب في رابعة النهار لرنةعود او لأنة من أنات «ياليل». قلوب تذوب في ظلال الصفصاف ، وتذوب امام الفونوغراف — قلوب شرقية مائعة على الدوام .

ونحن في زمن الحديد والكهرباء !

ان حاملي هذه القلوب لأعجز في المحن

والنكبات من فراخ القطا ، ولأجبن من صغار الارانب . وما اسرعنا ، وهذه قلوبنا ، الى الشكوى والانين ، الى التلهف والتأوه والنواح. ما اسرعنا ، وما اشد صراخنا ، في ميدان الندب والنحيب . كأننا في مندب دائم ، و كأن الندب مشتق من الانتداب . »

من خطبة للمؤلف

في مدرسة البنات الاهلية ببيروت

داء البكاء

«... اننا ، والحق يقال ، اكثر بكاء ، واشد انتحاباً ، من جميع الشعوب . كاننا جُبلنا من الدموع والاسى ، كأننا كُوِّنا من انفاس النوادب ، وجهشات الثكالى ... انه لمرض يفوق انتشاراً كل امراضنا ، وهو اشدها خطراً على سلامة الامة وعافيتها . بل هو الوباء الاخبث ، لانه يفعل بالعقول والقلوب ما لا تفعله احكام الظلم وشرائع الاستبداد . فتراه يفتك بالسياسيين ورؤساء الدين ، كما يفتك بالادباء والتجار والفلاحين . هو وباء الدموع ، وباء النحيب والنواح . فاذا بكى شاعرنا في قوافيه بكينا معه . واذا انَّ اديبنا

في نثره كنا كلنا صدىً لأنينه . واذا تروّع فيلسوفنا من هول الزمان المادي ، وانكسر في جهاده روح الزمان ، كنا كلنا متروعين مكسورين ...

وانك لترى الشبان اغزر دموعاً من الرجال ، والرجال اشد التياعاً من النساء ، والنساء اسبق الى التلهف والتأوه من الشعراء المتيمين . آه ، اوّاه ، والهفتاه !

***

وما السبب ياترى في هذا التلاشي المعنوي الروحي ؟ ما الذي يحل بقلوبنا ؟ ما هي ضربتها ؟ قلب شاعر مكسور ؟ ان قلوب الشعراء من زجاج . وا كثرهم يتموّنون منها ما يكفي الحياة الشعرية في كل ادوارها . فاذا انكسر قلب من هذه القلوب ،

فصرخ صاحبه وصاح ، وأنّ وناح ، وأرسل نواحه وأنينه في قوافيه ، أيجب علينا ان نصيح وننوح مثله ؟

***

كفكفوا دموعكم . ارفعوا قلوبكم من مستنقعات التخنث ، واعتقوها من العواطف الصبيانية — السرابيّة . ولا تستسلموا الى كل ناحب نوّاح مهما طاب نواحه ونحيبه . »

من خطبة للمؤلف
في الجامعة الوطنية بعاليه .

عشر وصايا للشعراء

١ — انا القاموس الهك ، لا اله لك غيري .

٢ — أكرم سيبويه ونفطويه والكسائي واخوانهم اجمعين .

٣ — لا تحلف باسم ليلى بالباطل .

٤ — لا تمدح بالزور .

٥ — لا تكذب على دعد وهند وشقيقاتهما .

٦ — لا تبكِ .

٧ — لا تقتل .

٨ — لا تسرق .

٩ — لا تشته قصيدة اخيك اونياشينه .

١٠ — وفر من غرش يومك لتطبع ديوانك ، وتنشره ، وتعلنه ، وتجزي المقرظين .

ربة الشعر

ربة الشعر ، عونك وهداكِ .

ربة الشعر ، قبساً من ضياكِ .

اني اخشى على ابنائك الراسفين بقيود تنكرين . واخشى على حاملي لوائك الغاوين ، من عبادة تزدرين . بل اخشى عليك من سخافات النظّامين ، وترهات الغاوين ، وبلادات المولهين .

اخشى عليك من أيدٍ تحمل المناديل ، ومن دموع هي الزنجبيل . وانت الظافرة بالاكاليل .

انت الجالسة سعيدة على عرش الخلود ، وانت المحجة وانت السبيل .

***

ربة الشعر ، الهميني الصواب ، وسددي خطواتي الصعاب ، ولا تجهميني يوم الحساب.

أسمعيني من اصواتك التي تسحر الانس ، وتسكر الجن ، وتملأ الكون غناء وابتهاجاً . فاني اذكر أن في رسومك وتماثيلك رمزاً للغناء.

يمثلك العارفون حاملة القيثارة تنشدين ، ولا يمثلونك حاملة المنديل تبكين .

وان لقيثارتك اوتاراً لكل عواطف الحياة ، ولكل لهجات المنشدين .

ولكن ابناءك في هذا الشرق العربي فقدوا سُلَّم العواطف ، فقلما يذكرون غير واحدة ، هي عاطفة الحزن والالم .

وفقدوا سُلَّم اللهجات ، فقلما يذكرون غير واحدة ، هي لهجة البكاء والنحيب .

وانت حاملة القيثارة المتعددة الاوتار ،

تلك القيثارة التي ردّد دنَيه آيات وحيها ، وذهب هوغو حواشي سحرها ، وكان هوميروس ابنها الاول الأبر ، وكان شكسبير رسولها الاكبر .

ربة الشعر ...

قطع صوت علي الكلام ، فسمعته يقول :

ولكنهم في شرقك العربي مسخوا اسمي وشخصي ؛ فأسموني شيطانا . وحمّلوني دناً فارغاً طيّب الرائحة ، ومصباحاً دخانه اكثر من نوره . وقالوا للشعراء : اتبعوا شيطانكم . فتبعوه الى دور الامراء ، والى المقابر — مديحٌ ورثاء ، رثاء ومديح ! وتبعوه الى حاناتٍ فيها دعارة ، وليس فيها للشعر منارة . وتبعوه الى ساحات الوغى يحاربون دواليب الهواء . والى طلول خاوية ، في ظلال شاوية . والى غُدَرِ المحال تحت سدْر الخيال . وتبعوه الى بحيرات من نور القمر ، تسبح فيها

عرائس الاحزان ؛ وترقص حولها بنات الجان . وفي من تبعوه من شعراء العرب ، وادركوا ، بهذي العبقرية لا بهداه ، حواشيَ الظل لعرشي الاعلى ، قليلون عرفتهم ، وفي مقدمتهم المتنبي والمعري والفارض والبهاء زهير .

فقلت : ربة الشعر ، اعدلي فينا . ربة الشعر انصفينا .

فقالت : اسمع وعِ . ان عندكم لكل وتر من اوتار الوحي شاعراً يفوق جميع الشعراء . عندكم المتنبي في فخامة القول والحماسة ، والمعري في حرية الفكر والحكمة ، والفارض في العشق السري الصوفي ؛ والبهاء زهير في العشق الساذج الطبيعي ، وابو نواس في المجون والتهكم ، وابو العتاهية في الورع والتقوى ، والشريف الرضي في شريف الغزل والنسيب ، والمجنون في الوله والحزن

والنجيب . اما الافرنج فانك لتجد كل هؤلاء في شاعر واحد كبير من شعرائهم ، في غوته مثلاً ، او في الشاعر الاوحد شكسبير .

فقلت : وشعراء اليوم ، شعراء الوجدان ؛ اولئك الذين يتعلمون في المدارس اسمك القديم ؛ واسمَ جبل وحيك ، ويرون في الكتب رسمك تحملين القيثارة ، وهم يحسنون العد ، فيعدون اوتارها كما يعدون اوزانهم ، ولا يسمعون مع ذلك غير واحد او اثنين منها . فما داؤهم ، دام جلالك ، وما السبب في بلائهم ؟ هل السبب في السمع والبصر ، ام هل هو في التربية الشعرية القياسية ؟

فقالت : ان داءهم الانانية ، وان بلاءهم في نصف بصيرتهم ، ونصف سمعهم . اجل ، ان اكثرهم لذو عين واحدة ، واذن واحدة . وانهم ، اذا ما نظروا الي ، لا يرون غير نصفي الادنى .

ومنهم من لا يرى غير جزء منه ، واذا هم أنصتوا لي ، فلا يسمعون غير صدى كلماتي العالية . فخير لهم ، وهذه حالهم ، ان يناجوا شياطينهم ، من ان يطوفوا حـول معبدي ، ويرددون القوافي القديمة المصدئة في المديح والرثاء ، وبعد ذلك يتأوهون وينتحبون .

— ربة الشعر ، حلمك . ربة الشعر ، التساهل منك .

— ويحك أتسألني التساهل ؟ وهل تريد ان لا ابالي ؟ معاذ الله ان انكر ابنائي ، وان كان فيهم من عجائب المخلوقات ، ذوي النصف البصيرة ، والاذن الواحدة . معاذ الله ان انكر عبّادي وان كانوا من اهل الندب والنحيب . ولكني اخشى مثلك على عرشي من دموعهم واخشى على قيثارتي من انانيتهم . هم ابنائي ، ورب الكائنات . ولكني وانا أمهم ، وان ضلوا السبيل الي ، وربة وحيهم ،

وان جهلوا في اكثر الاحايين مصادره القدسية — اخشى ان اركب خيالهم ، فاحسب نفسي ، كما يحسبون انفسهم ، محور الكون ، وركنه الاعظم...

فقلت : ومن اين يجيئهم هذا الخيال ان لم يكن من وحيك الاسمى ؟

فقالت : هو من وحي الشيطان ، لا من وحيي . معاذ الله ان يكون في وحيي شيء من الوهم والضلال . معاذ الله ان اضلل اولادي ، فاوردهم التهلكة ، واحرمهم الخلود . هذا بالرغم عما اقاسي منهم ومن قوافيهم . صدقني ، يابني ؛ ان ابنائي الصينيين واخوانهم الجاويين هم اليوم اقرب الى قلبي ، والى فهمي ، من اخوانك الناطقين بالضاد المتكبرين المفاخرين ، المرددين اصوات الاولين ، الطامعين بالامارات والنياشين .

فقلت : وهل كلهم سواء ؟

فقالت : لا ، يابني . ولكن كلهم مزعج . كلهم يزعجون امهم ، ويغيظونها . وماذا يبتغون مني ؟ اسمع وعِ . يصيح الواحد منهم في نظمه قائلاً : افتحي لي ابواب وحيك . وهو يظن ان ابواب الوحي ، المفتوحة لابنائي في العالم اجمع على الدوام ، انما هي في كتب القريض والدواوين . فيهرول اليها ، فيفتحها فرحاً ، ويكد القريحة طالباً جامعاً حافظاً . وهو يعتقد اني دليله وهداه ، احمل له مصباح الوحي في سراديب الاوزان والقوافي . وفي مثل هذا يتنافس واخوانه . وعندما يُغلق عليهم ، يلجأون الى القاموس . فافر منهم هاربة ، فينادوني ثم ينادوني ، وبالدواوين يرموني ليرشوني ، وهم دائماً يفاخرون ، بلا خجل ، ويكابرون . وبعد ذلك يجهشون ويبكون .

فقلت : شأن الاطفال وامهم الحنون .

فقالت : اخطأت يابني . لست بالام الحنون ، وليس الحب مزيتي الكبرى . لا ، ورب الكائنات . انا أم ، ولا كالامهات . فمن له بصيرتان من ابنائي ، بصيرة مادية ، وبصيرة روحية ، ادخله قلبي . ومن له بصيرة واحدة ادخله معبدي . ومن ليس لهم غير نصف بصيرة اتركهم في ذرا المعبد يلعبون .

— ربة الشعر ، رحماك .

— استرحم رب العالمين .

— وهل في الوجود كله ابلغ منك رسولا وأبرّ منك وسيطاً لديه تعالى .

— نعم ، هناك العالم .

ولكن العالم لا قلب له ، او ان قلبه يابس . وان علمه فوق ذلك ، لا يدوم على حال . اما انت فأنك في وحيك دائمة خالدة ، قلباً وروحاً وعقلاً .

— و كذلك هو الفيلسوف .

— ولكن فينا من يرفعك حتى على الفلاسفة .

وقد علمتنا ربة التاريخ ان للفلسفة حدوداً ؛ وان اتسعت من زمن الى زمن . وان الفلاسفة هم غالباً مثل العلماء ذوو بصيرة واحدة ، وقلوبهم يابسة . اما الشاعر « ذوالبصيرتين » ؛ ذاك الذي « تدخلينه قلبك » ؛ فهو اقرب المقربين اليه تعالى . بل هو في مقدمة الخالدين . وان في ذلك فخرك وفخر العالمين .

قلت هذا ، وبادرت الى ثوبها اقبل ردنه ؛ فمالت بوجهها الى المشرق ؛ وهي تبتسم ابتسامة الرضى . ثم مدت يدها الى القمر الطالع من وراء ربوة عند قدميها ؛ فازداد نوره ضياء ؛ فسربلها ؛ وخفاها عن ناظرَي .

الشاعر والوطن

ما خطر في بالي، يوم القيت خطبتي في الجامعة الوطنية بعاليه، تلك الخطبة التي حملت فيها على الادب الباكي، ان سيوقفني بعدئذ في الطريق العامة - طريق الصحف - رهطٌ بل عصابة من الادباء، ولسان حالهم يقول : رأسك، او كلمةً اخرى منك في الموضوع.

ومنهم من لم يكتفوا بالتهديد، فضربوا - ضربات صاردة، واخرى صائبة - وهم ينذرون بالمزيد.

قالوا اني ابيت على الناس ان يتألموا، واني انكرت وجود الالم في العالم، واني كفرت بالدموع،

وجدفت على المقدس منها ، اي دموع الشعراء .

وقالوا ان عنترة والمتنبي ، وغيرهما من ابطال المشرفية والقوافي ، بكوا في شعرهم ، ولم اتعرض لدموعهم . واني البست شاعر « الشباب المفقود » اكليلاً من الشوك بدل اكليل من الغار.

ومنهم من قال اني اكبرت الشعر وغاليت في تقديره ، فلا الباكي منه ولا الحماسي يؤثر كثيراً في نهضات الشعوب.

ومنهم من اباح انتقاد الشعر وصناعته وحرّم علينا انتقاد روح الشاعر ، وان كانت من الارواح المزنقة .

وجاؤوا فوق ذلك بزين الكلام ، فقالوا اني مشعوذ ومراوغ ، و ... غفر الله ذنوبنا جميعاً .

فما اجمل ما قاله الشاعر الحلبي ميخائيل صقال :

« نهوى السلام ، نصافي الناس ، نكرمهم
ولا نعادي ، ولا نهجو المعادينا »

ومن الادباء الذين خاضوا هذه المعركة ، وقد جرت فيها بدل الدماء الدموع ، وكاد الادب والشعر يغرقان في بحرها ، وهما يحاولان انقاذ الوطن — من اولئك الادباء من كانت جولاتهم ابعد من جولاتي ، وطعناتهم اشد من طعناتي ، فلمعت الخناجر ، وابرقت السكاكين ، فخفت على شعراء البلاد ، واسفت لما اسلفت من عتاد ، ووددت قتالاً مسرحياً ، يضحك اذا ما ابكى ، ويبكي في بعض ما يضحك ، فيعود المتبارزون ، بين الفصول الى اخاء في المهنة والوطنية ، فيستأنس الناس ويستفيدون في الآن الواحد .

ولكن اخواني المجاهدين ؛ المبددين لجحافل البكاء والنحيب ؛ اسلفوني من الفضل ما لا يصح عنده العمل بقاعدتي المأثورة : قل كلمتك وامش . فقد اهتز في كلا الحالين عقل الامة المفكر ؛ فتحركت نزعات للثقافة راكدة ؛ واستيقظت للشعر ارواح مجددة ؛ فجاء في ما كتبه الفريقان من الادب الحي ما يحمدان عليه كل الحمد ؛ لولا نعرات شخصية تشينه ؛ واهواء نفسية تضعف الحجة فيه . وجاء خصوصاً في كلمات من حملوا على الادب الباكي البرهان الحي المسر على روح التجدد في الشباب وفي نزعاتهم الادبية والاجتماعية والوطنية .

على ان الشخصيات تضمحل امام الغرض الاكبر من الموضوع . فلا انا ممدوحاً ؛ ولا انا مذموماً ؛ اقدم او اؤخر في تحقيق ذلك الغرض .

ولا الذين توهموا انفسهم خصوماً لي ، ممدوحين كانوا او مذمومين ، ممن شاركوا في المناظره ، يقدمون او يؤخرون في تمحيص الحقائق ، وادراك المحجة .

ومن غريب ما ظهر في هذه المناظرة تباين العقليات ، ليس فقط في القوة والصحة ، بل في الشكل والنوع كذلك . فان كان في تأييد فكرة المؤلف او في تسفيهها ، وان كان في الدفاع عن الفيلسوف والوطن ، او عن الشاعر وحقه في البكاء ، فالعقلية لم تستتر او تتقنع ، بل كانت جلية صريحة لا مجال للريب فيها .

وهذا ما لا تجده الا في الامم المتقسمة المتخاذلة مثل الامة العربية . فلو كانت هذه المناظرة في المانيه مثلاً او في فرنسه ، لما كنت تجد في اختلاف المتناظرين أثرا لعقلية غير المانية ، او غير

فرنسية .

اما عندنا فقد تلمست ، وانا اطالع ما كتب ، شتى العقليات ، بل تعثرت بها . فهناك العقلية الفرنسية وما تجندت به من ادب هو محض فرنسي . وهناك الانكليزية وما ظهر فيها من الثقافة الانكلوسكسونية . وهناك عقلية محض عملية — اميريكية مادية — لا ترى في الشعر كبير خير للامم ، لا في الباكي منه ولا الحماسي . وهناك العقلية اللبنانية التي ابت ان تجرد موضوعاً ادبياً اجتماعياً من النعرة السياسية . وكذلك العقلية السورية ، والعقلية العربية ، وهي ابرز ما استعرض في هذه المناظرة .

لذلك لم ينحصر البحث في الموضوع ، بل تجاوزه الى ما اوحت تلك العقليات ، كل الى صاحبها فجاءت والنزعات تخفي الحقائق في بعض الاحايين

او تشوهها .

اما اذا جردنا تلك المقالات من التشيع الادبي الشخصي ، والتشيع السياسي ؛ ونظرنا الى ثمرات الفكر الصحيح الصافي ،والى نزعات النفس النزيهة فيتبين ان هناك مزيجاً من الآراء الصائبة والمخطئة ومن النظرات الثاقبة والسطحيـة ، يستوجب التصفية ، او التسفية — كيفما مثلته لنفسك . بل هناك من الحقائق المختلطة بشبه الحقائق ، وبالاغلاط ما يستوجب التمحيص والايضاح .

انه لعمل شاق . واني ، اكراماً لك ايها القارئ العزيز ، لمنجزه ان شاء الله . فقد طالعت من اجل ذلك كل ما وصلني ، واظنه القسم الاكبر ، مما كتب في الموضوع . وجئت الآن اقوم بالواجب واجب التمحيص ، فاثبت الحقائق واضحة جلية ، واشير الى ما هو خطأ او وهم بحسب اعتقادي –

ثم اضيف الى ما سبق مني ما يعيد الى ذهنك، وذهن الامة ، ما كاد يضيع في البحث والمناظرة من لب الموضوع ، ومن الغرض الوطني الاجتماعي الاكبر في معالجته ، وعلى الاخص في هـذه الايام العصيبة ؛ ايام الجهاد الوطني ، والنشأة القومية .

الشاعر والفيلسوف

قيل ان الشاعر والفيلسوف لا يتفقان . فالفيلسوف يزعم ان الشاعر يحبب الى الناس الخلاعة ويغريهم بها ؛ والشاعر يظن ان الفيلسوف يبعدهم من الادراك الاسمى لحقائق الحياة .

وقيل ان هذا الخلاف بينهما قديم جداً ، اقدم من افلاطون وهوميروس . فلا الفيلسوف يحترم الشاعر ، منذ ذاك الزمن حتى اليوم ، ولا الشاعر يحترم الفيلسوف .

ان في هذا القول اشياء من الخطأ والصواب . فاذا نظرنا في المسئلة نظرة سطحية ، وجدنا ان بين الشعراء النفسيين ، اي الشخصيين ، وبين العلماء

والفلاسفة الماديين من تصح فيهم الكلمة انهم لا يتفقون . ولكن الكثيرين من هؤلاء العلماء والفلاسفة لا يحسنون تقدير الشعر لان لا ذوق لهم فيه . وقد قال احدهم ان الشعر هو نتيجة تضخم في الطحال ، وافرازات له غير اعتيادية .

اما الشاعر الشخصي الاناني ، ذاك الذي لا يتعدى شعره نفسه ؛ وما يرى ويخبر من خلالها مما يتعلق بنفسه ، فهو يظن ان روحه التبر الخالص ؛ يذيبه وينثره على جناح الخيال ، وان الفيلسوف لا يستطيع ان يرى شيئاً منه ، لان ليس له غير عقل علمي ، قياسه الاوحد رياضي حسابي . فهو لا يرى غير ما يُرى بالحس ، ولا يدرك غير ما يُدرك بالقياس . هذا الفيلسوف وذاك الشاعر لا يتفقان .

اما اذا امعنا النظر في المسئلة ، فيتبين ان بين الشعر الكوني الروحي وبين الفلسفة التي تقرن

المادة بالروح صلة متينة ، ونسباً قديماً يمت الى افلاطون وهوميروس ومن تقدمهما. والحق يقال ان في فلسفة افلاطون شعراً صافيا ، وفي شعر هوميروس فلسفة سامية[1].

وانك لتجد الفلسفة ، بعيدة الغور والمرمى في شعر غوته الالماني Goethe وفي شعر وضزورث الانكليزي Wordsworth ، ناهيك بشكسبير Shakespeare وما احاط به في شعره ورواياته من طبقات النفس والفكر ،ومن آفاق الخيال والتصور، ومن جوامع الادب والفلسفة .

وما قولك ، ايها القاري، الاديب ، بابي العلاء ، شاعر الفلاسفة ، وفيلسوف الشعراء ؟ وما

---

(١) راجع مواقف نسطور في الالياذة والصفحات الاولى من الكتاب الثالث والكتاب السادس من « جمهورية افلاطون »

قولك بالفارض ، شاعر التصوف والفلسفة الالهية؟
وهل اذكرك كذلك بقصيدة الفيلسوف ابن سينا
في النفس ؟

« هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع »

الى ان قال وقد اخترق استرة المادة :

« هجعت وقد كُشف الغطاء فابصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع »

ان في بنات خيال الشعراء العبقريين وبنات
افكار الفلاسفة الكبار لفلسفة هي الشعر ، وشعراً
هو الفلسفة . وقل هو الشعر الفلسفي في اسمى
مظاهره ، وهي الفلسفة الشعرية في اجلى واجمل
معانيها .

واعلم ، سلمك الله ، ان الحقيقة العلمية
المجردة هي ناقصة نقص الحقيقة المنحصرة بالشعور . اما

الحقيقة الكبرى – الحقيقة السابغة الشاملة الدائمة الثابتة – انما هي التي تجمع بين الحقيقتين، بين ما يدركه الشاعر بحسه الدقيق، وما يدركه الفيلسوف بعقله المحيط. هي حقيقة غوته في « فوست » « Faust »، هي حقيقة شكسبير في « هملت » « Hamlet » هي حقيقة وضزورث في «الاكسكرشن » « The Excursion » هي حقيقة برغسن « Henri Bergson » في كتابه « L'Evolution Crèatrice » هي حقيقة المعري في « اللزوميات » . هي حقيقة الغزالي في « احياء العلوم » . هي حقيقة ابن طفيل في « حي بن يقظان » . هاك القليل من الكثير في هذا الباب .

قال الفيلسوف للشاعر : اني اعلم ما تراه . وقال الشاعر للفيلسوف : اني ارى ما تعلمه . مثل هذا الشاعر وهذا الفيلسوف لا يختلفان . وكثيراً

ما يكمل الواحد منهما عمل الآخر ، فيدرك الفيلسوف بالعلم والاستقراء ما يفتح للشاعر ابواباً للوحي جديدة ويدرك الشاعر بالحس والتصور ما ينبه الفيلسوف لجادة في البحث مجهولة ، ويوسع لديه نطاق الفكر والاكتشاف .

دع الشعر والفلسفة ، وانظر معى ، تكملة للبحث ؛ في حياة الشاعر والفيلسوف العملية ، وفي ما يتوجب عليهما كابناء وطن واحد ، بل كأخوين مفكرين ، متزهين عن الاغراض الشخصية ، والمآرب النفسية كلها . فهل تظنهما ، وهذه صفة كليهما ، يختلفان في الحقائق الاساسية للحياة ، سياسية كانت او اجتماعية ؟

خذ هذه الحقيقة الكبرى في حياتنا الانتدابية : المنتدبون متمدنون ، والمنتدبون مسيحيون ، والمنتدبون مقتدرون ، اي انهم

اصحاب جنود واساطيل. فالمتمدن يجب ان يكون عادلا ، والمسيحي يجب ان يكون وديعاً ، والمقتدر يجب ان يكون صريحاً صادقاً .

فهل المنتدبون علينا وعلى اخواننا في الاقطار العربية الاخرى عادلون ، وديعون ، صريحون ،صادقون؟

وهل تظن ان الشاعر والفيلسوف يختلفان في الجواب على هذا السؤال ؟

خذ الثانية الكبرى من حقائق هذه الانتدابات . المنتدبون مسيحيون ، وهم يضربوننا كل يوم على الخد الايمن ضربات وثنية ، ونحن ابناء هذه البلاد ، مسيحيين كنا او دروز او مسلمين ، ندير لهم الخد الايسر كل يوم .

فمن هو المسيحي الصادق ياترى ؟

وهل من الحكمة ، او من العدل ، او

من الدين بشيء ان نظل من هذا القبيل مسيحيين ، واصحاب الانتداب لا يهمهم من المسيحية غير « اخذ الرداء » والصفع على الخد الايمن » ؟

وهل يصلح للجهاد في سبيل الحرية والاستقلال والعزة القوميـة ، من الف الصفع والسكوت او الصفع والبكاء ، وتعلم ان يقبّل اليد التي لا يستطيع ان يكسرها .

هـذا سؤال آخر لا اظن ان الشاعر والفيلسوف يختلفان في الجواب عليه .

واذا كان الجواب واحداً ، فهلا يجب ان يكون العمل بموجبه واحداً كذلك ؟

واذا تألم الفيلسوف لهذه الحال المحزنة المخزيه ، الكائنة بين اصحاب القوة والباطل والمسيحية الكاذبة وبين الضعف والحق والمسيحية الصادقة ،

افلا يجب ان يتألم الشاعر ، ويتألم — وهو الرقيق الشعور — ضعف آلام الفيلسوف !

هو السؤال الذي يقف بنا عند النقطة الجوهرية الثانية من هذه المناظرة — عند الالم .

الالم الشخصي والقومي

لا الحياة في حقيقة احوالها ، ولا الحياة في الادب ، هي اليوم على ما كانت منذ خمسين سنة ولم تكن واحدة في الاصل وفي الصورة ، في الواقع وفي الكتب ، لا في الغرب ، ولا في هذا الشرق العربي ، حتى في ذلك الزمان. فقد كان الادب ، ومن ضمنه الشعر ، أدب تلفيق وتشويق ، ادب صناعة وخيال ، على الاجمال ؛ وكانت الحياة ، بالنسبة الى حاضر حالها ، سهلة سلسة بسيطة.

وفي حالها الحاضر تنعكس الآية ، او هي تسرع في اتجاهها المفصح بالانعكاس. اجل ، قد تعقدت

الحياة ، وتعددت فيها اسباب التصنع والتزويق ، كما تعددت فيها اسباب الراحة والبذخ . ولكن الصعوبات في ورود مناهلها ، وفي حل مشاكلها ، هي كذلك آخذة بالتعدد والتعقد والاشتداد . اما الادب ، ومن ضمنه الشعر في اوروبة ، فهو يجرّد يوماً فيوماً من الزيادات والزخرفات الصناعية والمعنوية ، ويسيرً في السبل الجديدة القويمة القصيرة المنصوبة الى جوانبها اعلام المحجتين — الحقيقة والبساطة .

لا يجوز ان نقول اذن ان الادب ، ان كان في الماضي او في الحاضر ، يمثل الحياة تمثيلاً صادقاً في اصولها وفروعها . هو يردد صدى بعض اصواتها ، ويمثل تمثيلاً حقيقياً بعض مشاهدها ومعارضها ، وينقل شيئاً من ظلالها والوانها . ولكنه عند الحقائق الكبرى ، في مآسي الاسرة ، وفواجع المجتمع ،

ونكبات السياسة، يقف كالاله المكتوف اليدين، المعقود اللسان، وينظر الى يمينه فيرى انواراً تكاد تخنقها الظلمات، وينظر الى يساره فيرى ظلمات تحاول ان تبددها مشاعل متوهجة، كانها دنت من اواخرها في الاحتراق.

وفي هذه المشاعل مشعال الشاعر، ومشعال الفيلسوف.

واذا انتقلنا من الموقف العام العالمي، وعدنا كما ينبغي الى الموقف الخاص الوطني، لا نرى في الصورة الصغيرة كبير تغيير او تبديل، ان في الوانها الاساسية، او في ظلالها البارزة. فهي في مجملها قاتمة جاهمة، الا ان الاتجاه المركزي فيها هو اجنبي، يبسط نفوذه على ظلالها وانوارها، وقلما يتأثر بما هناك من عوامل الالم والبؤس والشقاء.

فلا عجب اذا بالغ احد الادباء المتناظرين في

وصف هذه الحياة حياتنا ، فقال انها حياة سوداء ملؤها الظلم والعسف والقباحة والعار ، حياة تدمي القلوب ، فنسيل الما اليماً . ثم صاح من اعماق قلبه ان الالم هو الحيـاة ، وان الالم هو الادب ، وان الالم هو اصل كل اصلاح في الادب وفي الحياة .

ان هذا الاديب يتألم حقاً لالم قومه ، ويريد ان يكون الشاعر في البلاد مرآة بيئته ، وصورة مصغرة لامته . فهل هو كذلك ؟

لا ريب عندي في ان الشاعر يتألم اكثر من سواه ولا ريب في ان الم الشاعر هو اصلاً شخصي اناني . وهو يظل في اكثر الشعراء النفسيين شخصياً قطب دائرته « انا » . وهذه الـ « انا » التي لا تتوفق دائماً في امالها وتشوقاتها ، تجسم الالم في اصحابها ، فيرون الحياة كلها جاهمة سوداء . وهم يدللون انفسهم المتألمة كما تدلل الام طفلها ، ويذهبون في خيالهم مذاهب عجيبة

فيتوهمون ان آلام الهيئة الاجتماعية من آلامهم ، وانها لاتزول ما زالوا هم الشعراء بائسين متألمين .

واعلم ، سلمك الله ، ان من يتألمون لالم امتهم لا يبيعون ضمائرهم ، ويسخرون اقلامهم وقوافيهم ، للاجانب المسيطرين ؛ وهم السبب الاكبر في بلاء الامة وشقائها .

هؤلاء الشعراء يبكون وينوحون إما تقليداً لان بدوياً في قديم الزمان بكى الاطلال والدمن - وإما تمويها ، لانهم تعلموا في المدارس ان الشعر من الشعور - فقط - وان اشد حالات الشعور في الشعر - هي الدموع . اما المخلصون منهم فقلما يندبون غير حظهم ، وقلما يتألمون لغير انفسهم . وانك اذا زجرتهم ، او حاولت ان تنقذهم من تقاليد هم فيها وأوهام ، يصيحون صيحة المجروح ، ويئنون كالمقروح أنات طويلة مزعجة .

هوذا داء الانانية بعينه . وليس للمجتمع ولا للدهر يد فيه . انه من النفس المشغوفة بنفسها وبالمها . انه من الغرور الذي هو عند الشعراء الانانيين ، بعد الشهرة ، خير تعزية . بل هو سلاحهم على الدهر الغدار الميان ، وبرهانهم الاكبر على جور الزمان . وقد قال شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء ، ابو العلاء :

« نشكو الزمان وما اتى بجناية

ولو استطاع تكلما لشكانا . »

وعلى ذكر ابي العلاء اقول ان الشاعر الذي ترفعه الالام في سلّمها الى الدرجة العليا يرى الشمس مشرقة فوق الغيوم ، ويرى الظلال الخضراء في قلب البوادي المهلكة .

الشاعر الصغير ، ايها القارىء العزيز ، يتألم ويبكي ، ويدخل على قلبك شيئاً من عذوبة

قوافيه ، فتطرب لصناعته ، وقلما تأسف على حاله .

والشاعر الكبير يتألم ، ويصف الالم وصفاً يؤلمك ، ويهيج فيك الغضب والنقمة . بل يريك من الفواجع الاجتماعية ، ما يضرم في صدرك نار التمرد ، ويشعل فيه نور الرغبة بالعمل ، بل نور العمل والاصلاح .

وهل في شعرائنا نحن العرب من كان اسوأ حظاً ، واشد بؤساً ، وارق شعوراً من رهن المحبسين ابي العلاء ؟ ومع ذلك ، فانك لتنسى المه الشخصي عندما تسمع في شعره أنة الالم القومي ، بل الانساني .

هوذا الشاعر الكبير ، الشاعر الفيلسوف ، الذي يتألم لالم امته . وقد كان شعره صورة صادقة لبيئته . فقد انتقد ، بكلمات من نار ، وقواف من نور ، ما كان في زمانه من المفاسد والمظالم الاجتماعية

والسياسية ، والدينية . وصاح بالظالمين والمرائين صيحات مصعقات . وما فقد مع ذلك النظر الاعلى ، ولا تعامى عن الحقيقة الكبرى ، في الجمال الشعري الصافي ، فجاءت في بعض قصائده غاية في الرقة والخيال .

« واعمارنا ابيات شعر كانما

اواخرها للمنشدين قوافي »

وما كان الالم ليحجر قلب المعري ، او يذهب بشيء من سمو مبادئه . فاسمعه يقول :

« اذا ما فعلت الخير فاجعله صافياً

لربك وازجر عن مديحك ألسنا

فكونك في هذه الحياة مصيبة

يعزيك عنها ان تبر وتحسنا . »

ومن غريب الاتفاق الفكري والاجتماعي ان فيلسوف المعرة وشاعرها كان ناقما مثلي على فريق من الشعراء في زمانه ، فندد باولئك الذين

يلهون بتوافه الحياة ، ولا يستطيعون ان يخترقوا ستاراً واحداً من استرة الحقيقة، فيبذرون قوافيهم بالمديح والاستجداء ، وبالتغزل البليد والرثاء .

وقد قال ، وهو يحمل على اسيادهم ، واولياء نعمتهم ، الامراء والحكام — و كأنه في ما يقول يصف اسياد هذا الزمان :

« مُلَّ المقام فكم اعاشر امة
أمرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم اجراؤها
فرقاً شعرت بانها لا تقتني
خيراً وان شرارها شعراؤها . »

اريد من شعراء القرن العشرين ان يتمثلوا في هذه الايام بشاعر القرن الحادي عشر ، شاعرنا الاكبر المعري . واريد منهم ان يستقوا من ينبوع

حكمته الصافي ، فلا يملاون البلاد ضجاً وقرقعة إذا هم احسنوا مرة الى المجتمع وقصر المجتمع في نظرهم باحسانه اليهم . وهل جاء احد الفلاسفة او الشعراء باسمى من هذه الحكمة، وابسط وابلغ من الصورة فيها ، وهي من ينبوع من كانت حياته بؤساً والماً على الدوام ؟ فهو القائل :

« والغيث اهنأه الذي يهمي وليس له رعود . »

وهذا الشاعر الفيلسوف المتألم ، الذي عرف الحياة « جاهمة سوداء قبيحة ظالمة ... » لا يعبس دائما ولا يتجهم . فان له في مزاجه شتى المزايا الطيبة ، فيجيد ماجناً ، كما يجيد ناقماً ، او واصفاً ، او متاملاً مفكراً . وها كه يمزج الحقيقة بالتهكم واليأس بالامل :

« عرفت سجايا الدهر ، اما شروره
فنقد ، واما خيره فوعود .

فلا يرهبن الموت من ظل راكباً

فان انحداراً في التراب صعود . »

لست في هذا المقام ناظراً الى المعري من جميع نواحيه ، وفي شعره ، كما في شعر كل شاعر على الاطلاق ، الغث والسمين . انما انا مستشهد به وبمحاسنه على ان الالم في كبار الشعراء يخرجهم من المحيط الشخصي المحدود ، من قيد الانانية ، ويرفع بهم الى اوج المعرفة والاحساس ، فيرون ما في الحياة من مواطن الوحي الدنية والقصية ، ومن مصادر الشعر في الاغوار وفي الانجاد ، بل يرون الكون كله شعراً الهيا .

قال « غوته » شاعر الالمان الاكبر : « ان الكون ثوب الله . »

وجاء المعري ، شاعرنا الاكبر ، يبزه بصورة ابلغ وصفاً ، واروع حقيقة ، واسمى خيالا ،

اذ قال :

« أرى خيال إزار ثمه قدر

ظهرت منه قليلاً ثم وريت . »

هوذا الخيال في الحقيقة الشعرية . وهوذا في الاثنين ما يثبت ان هناك شيئاً من الشبه بين المعري والفارض . فالمتصوف يجل الله عن الذكر الا رمزاً . وهو لا يجسر ان يراه ، اذا فرضنا ان ذلك ممكنا ، ولم ير الا الخيال من ازاره . فالكون في نظر الشاعر الالماني هو هذا الازار ، وفي نظر الشاعر العربي هو خيال الازار ، وقد عبر عن مشيئة الله فيه بالقدر . والناس يظهرون من خلال هذا الخيال — يظهرون قليلاً في هذه الفانية — ثم يختفون .

لنعد ، قبل ان نودع المعري ، الى موضوعنا فيسعفنا ببعض صور بيذ:هلنعيد الى نظر القارى ماقد

يكون نساه في بيتنا . او ليس من العجب ان نسمع من شاعر القرن الحادي عشر الصوت الذي نود ان نسمعه ، من شعراء هذا الزمان .

قال المعري يوبخ الملوك ، ويدافع حتى في تلك الايام— عمن كانوا يدفعون الضرائب .

« وارى ملوكا لا تحوط رعية

فعلى م تؤخذ جزية ومكوس ؟ »

وقال يندد بالمنافقين والمرائين ، وهم لا يزالون كما كانوا في قديم الزمان ، وان تعددت اساليبهم ، وتغيرت اسماؤهم وحيلهم .

« رويدك قد غررت وانت حر

بصاحب حيلة يعظ النساء

يحرم فيكم الصهباء صبحاً

ويشربها على عمد مساء

يقول لكم غدوت بلا كساء

وفي حاناتها رهن الكساء . »

و كأنه نظر بعين الغيب الى هذه البلاد العربية او بالحري الى حاضرها واصحاب الانتدابات فيها ، فقال :

« ساس الانام شياطين مسلطة ــ

في كل قطر من الوالين شيطان . »

هوذا الالم القومي ، بل الالم الانساني ، الذي يتمثل في الشاعر الكبير فيرفعه الى اوج المعرفة والشعور ، ويسلحه بالجرأة زينة البلاغة . وبالحرية زينة الحق ، وبالصدق والاخلاص زينة النزعات النفسية والقومية والانسانية كلها .

وها هنا يحق لنا ان نسأل : هل الشاعر

الكبير يبكي من الالم ؟ وبكلمة اخرى : هل يهيج الالم فيه الدم ام الدموع ؟ هو السؤال الذي يقف بنا ، في هذه المناظرة ، عند النقطة الثالثة الجوهرية ، وهي الدموع .

الدموع

لصديقي الشاعر الشيخ فؤاد الخطيب بيت في الدموع ، كان يردده يوم كنا بجده ، وهو يشدو على طريقته البدوية المشجية ، فينسينا ، ونحن نهتف : الله ، الله ! ، اننا في بلد تُغتفر فيه اللهفات ، ولا يُسأل فيه صاحب العبرات . وكأني الآن ، وتلك الذكرى تعود في لبنان ، اسمعه ينشد كذلك في عمان :

« هات الدموع ، وحسبي في البلاء بها
ان الدموع يد لله بيضاء . » [1]

---

(١) لي رأي في الشعر يستحق البحث والمناقشة ، وهو ان الترجمة تفضح السخيف منه ، مهما عذبت او جزلت

ولكني ، وانا في هذا الملجأ القصي ، من سحر شدوه البدوي ، ارفع قضيتي الى محكمة العقل ، واسأل مستأنفاً حكم الشاعر : هل الدموع في البلاء مفيدة ؟ بل اسأل اطلاقاً : هل تنفع الدموع ؟

قبل ان نجيب على هذا السؤال ، يجب ان نعرف ما هو الدمع . ويجب ان يكون البحث علمياً ، لنثبت فوق كل ريب الحقيقة في الموضوع ، ونظهر فوق كل ريب ما قد ينطوي عليه من وهم وسخافة .

الفاظه ، وتثبت الجيد ، فيظل شعراً اذا ترجم لاية لغة من اللغات . هاك بيت الشيخ فؤاد في حلة انكليزية :

« Myself in tears to sorrow I resign ;
For tears are of the clemency divine . »

جاء في القاموس : الدمع ماء العين من حزن او سرور . ولكن التعريفات العلمية تجيء ناقصة في قواميسنا العربية .

لذلك نلجأ الى قواميس الافرنج . فهاك ما جاء في القاموس الانكليزي : الدمع هو الماء المالح الذي تفرزه الغدد الخاصة به ، ليرطب سطح العين ، ويغسلها مما يغشيها من ذرات الغبار . وهو يجري من قبائل الراس (القاموس العربي) ثم يمر في مسايل الانف (القاموس الانكليزي) ويمتزج بمفرزاته المخاطية . اما في اوقات التهيج او الابتهاج — في السعال الشديد مثلاً او الضحك — فتتقلص اعصاب العين ، فيسيل الدمع على الوجنتين .

من هذا التحديد يتضح ان الدمع

١ — ماء مالح ،

٢ — غدده في قبائل الرأس ،

٣ — فائدته ان يبقي العين نظيفة ويرطب سطحها ،

٤ — يظهر في ساعات السرور الشديد او الحزن الشديد سائلاً فوق الخدود .

الدموع اذن ليست الحزن بعينه ، ولا هي دليل الحزن فقط . على انها ، حسب اعتقاد الناس ، تخفف من الحزن ، وتفرج الكرب والغم .

وهذا الاعتقاد ، وان تصعب اثباته علمياً ، ينزله الكثيرون من اهل الادب والعلم منزلة اليقين ، فيقولون ان في البكاء راحة من كرب او حزن او مرض ، وفيه تنكشف الغموم .

فهل هذا صحيح ياترى ، ام هل هو وهم من الاوهام ؟ اننا نلفت نظر القاريء الى هذه الحقائق الراهنة :

ان البكاء في بعض الشعوب الشرقية اكثر

منه في الشعوب الغربية، وانه في الشعوب اللاتينية اكثر منه في الشعوب الانكلوسكسونية. وان في الشعوب القاطنة الشمال، مثل اهل اسوج ونروج، يضعف فيهم الميل الى البكاء، ويكاد يزول. فهم قلما يبكون في الملمات.

فهل في الطقس عامل من عوامل البكاء؟

اذا قلنا: نعم كذبتنا شواهد الحال. فالعرب في شبه الجزيرة، وخصوصاً اهل نجد، هم مثل الاسوجيين، وان تعاكس طقس البلادين، فلا يحزنون حزناً شديداً على موتاهم، وقلما يبكون.

هل للتقاليد والتربية اذن فعلها في البكاء؟

اني اعتقد ذلك. بل اقول انها من عوامل البكاء الشديدة.

واني، فوق ذلك، استرعي نظر القارىء الى هذه الحقائق الاخرى الثابتة:

الصغار اسهل دمعاً من الكبار ، والنساء اكثر بكاء من الرجال ، والرجال في الشعوب الهمجية والمتأخرة في التمدن ، هم اسرع الى ذرف الدموع والنحيب من الرجال المتمدنين . تنبئنا بذلك المنادب الافريقية ، وما لا يزال من اثرها في بعض البلدان ، وقل في جبل لبنان .

ان في ذرف الدموع اذن ، وفي فيضها وشحاحها ، غير تهيج العواطف حزناً او سروراً . وقد قدمنا الدليل على علاقتها ، من وجهة واحدة ، بدرجة الرقي والتمدن في الشعوب .

وهاك ، من وجهة اخرى ، ما يسترعي النظر . الولد يبكي حينما تصطدم ارادته اصطداماً شديداً بارادة امه او ابيه او اخيه الاكبر . والمرأة تبكي اذا اشتد عليها كيد الزمان ، او كيد زوجها . اما

الرجل ، فهو على الاجمال اقل بكاء من المرأة . فاذا كانت الدموع تفيد فلماذا تُخَص فائدتها بالاطفال قبل الاولاد ، وبالاولاد قبل النساء ، وبالنساء قبل الرجال . ويكاد يُحرم الرجال خيرها. ألان الاولاد اضعف من النساء ، والنساء اقل قوة وتجلداً من الرجال ؟ قد يكون ذلك ، وقد تكون مسايل الدمع في الاطفال والاولاد والنساء اطرى وأرقّ منها في الرجال .

ومما لا ريب فيه ان الرجال اجمالا يحكمون العقل في الشدائد ، والنساء يحكمن العاطفة ، والاولاد مسيرون بالغريزة . يرى الطفل القمر ، فيمد يده اليه — يطلبه ثم يطلبه — فتعريه سورة من البكاء لانه ابى ان يجيء. وبعد صراخه ودموعه يهدأ جأشه ، وينسى ان القمر عصاه . .

فهل افادت الطفل الدموع ، بعد ان حرق ملحها وجنتيه ومآقيه ؟ ام هل كانت الدموع نتيجة ملازمة لتهيجه واضطرابه ؟

في الجواب على السؤال الاول ، سلباً او ايجاباً ، مجال للبحث . اما الجواب الايجابي على السؤال الثاني فلا ريب فيه ؟

ايحق لنا ان نقول اذن ان الدموع نتيجة ملازمة لتهيج العواطف ، حزناً او ابتهاجاً ، وهي قلما تفيد ؟

حدثتني سيدة مهذبة قالت : كدت اختنق مرة من شدة الغيظ والكمد ، وانا احاول ان احبس دموعي . ولكني عندما استسلمت اليها ، احسست أن شيئاً ثقيلا متجمداً في صدري اخذ يذوب ، فذاب بالبكاء ، فانفرجت .

ولكن الرجال يفرجون كربتهم بغير

الدموع . يفرجونها اما بالصبر والتجلد ، واما بالقوة ، واما بحسن التدبير .

ان الغيظ والكمد والحزن لا تفعل بالرجال اذن ما تفعله بالنساء . ذلك لان فعلها بالنساء منشأه العواطف ، وفعلها بالرجال منشأه العقل والارادة — العقل في التدبير ، والارادة في ضبط النفس ، او القوة في اشفاء غليلها .

ولا اظنك تنكر ، ايها القارىء المفكر ، ان للتربية مفعولها بالدموع . فالام لا ترجر ابنتها ، اذا رأتها تبكي ، كما تزجر ابنها . فهي توبخه ، وتذكره بانه رجل — والرجال لا يبكون .

فاذا كان البكاء حقاً مفيداً ، فلماذا يُحرم الولد فائدته ، ولا تُحرمها الفتاة؟

يظهر اذن ، فوق كل ريب ، ان في عقيدة

من يقولون بفائدة البكاء شيئاً بل اشياء من الوهم والسخافة. وان الشاعر في قوله: « ان الدموع يدٌ لله بيضاء » هو شاعر فقط. على ان قد يكون له تعالى يد في الدموع بيضاء، اذا اسعفها الوهم في تقليد ورثناه، او في عادة الفناها.

دموع الشاعر

لا اظنك تجد من الدموع في شعر الامم الاوروبية كلها مقدار نصف مـا عندنا في الشعر العربي . ولا اظنني في ما اقول مبالغاً . جلْ في ربوع الشعر او في بواديه ، تجد هناك من الدموع بحيرات ومستنقعات . خذ اي ديوان تشاء ، وافتحه على بركة الله ، تحظ بقصيدة شاكية ، او بقافية باكية . وخذ أي كتاب من كتب الادب القديم ، تر صفحاتـه مزدانة بالاشعار ، وفيها دائماً من النوع الذي يسيل دمعاً سخيناً سخياً . قصائد هي السواقي — قوافي هي الشلالات — دواوين هي الينابيع المعدنية .

ويظهر ان الذين يتذوقون الشعر ويروونه ،

او يعنون بنقله ، والاستشهاد به ، في بث فكرة ، وتزيين مقال او اعلان ، هم شغفون بدمعة الشاعر فيفضلونها غالباً على ابتسامته ، او على غيرها من ظاهرات مزاجه . هاك ما قرأت في ورقة اليوم من الروزنامة :

« واذا عصاني الدمع في
احدى ملمات الخطوب
اجريته بتذكري
ما كان من هجر الحبيب . »

كأن جري الدمع على الخد لازم للصحة والهناء لزوم جري السوائل الاخرى في الجسم البشري . واننا نرى الشاعر ها هنا ، مثل الطبيب ، يعالج المتعسر العاصي منها بالادوية . فقد اكتشف دواء لنفسه ، اسماه « هجر الحبيب » ، فعله عجيب . خذ ملعقة واحدة من « تذكر الحبيب الهاجر » ، تتفتح

مجاري الدمع فيك ، فتلين عينك القاسية العاصية ، فتأتيك بالعبرات في الملمات .

وما اكثر انواع العبرات ، وما اكثر العبر فيها . فقد عدد احد ارباب الشعر الباكي مئة دمعة ودمعة ، بادئاً بالطفل ، وخاتماً بالمسيح على الصليب ، وهو يحمد الدمعة التي « قلبت العالم » ! انما فاته ، دامت دمعته ، ان المسيح في تلك الساعة لم يفكر بالعالم ، بل بنفسه اذ قال : الهي ، الهي ، لماذا تركتني . تباركت في كل حال دمعة المصلوب ، وهي الوحيدة — الاولى والاخيرة منه . اما شعراؤنا فهم لا يصلبون ولا يهانون ، ودائما يبكون . وقد تخيلوا حتى السواقي والينابيع دموعاً .

اجل ، ان الطبيعة نفسها لتبكي معهم . سبحان من بكى ، واستبكى ، وابكى . فها كم الورد الباكي ، وطل الصباح دموعه . وها كم

الشفق الشاكي، وفي الغمائم غمومه. وها كم الحمام النوّاح، والبوم الصيّاح، والضفادع تنق طول الليل حتى الصباح. والخرفان الحزينة المعدة للذبح، وهي احق انصار الشعراء بالبكاء، فقد تقرحت مدامعها، فبكى حتى الذئب عليها ومعها. اننا حقاً لفي وادي الدموع، والشاعر مرآته الجلية، ودمعته الكبرى المركزية، التي تنعكس فيها كل دمعة، وكل بلية.

لله من دموع الشعراء. قال المتنبي يندب شيبه في صباه:

«شيب رأسي وذلتي ونحولي

ودموعي على هواك شهودي.»

والمتنبي سيد الكذابين، لانه لم يشب في سن العشرين، وكان في الارض من المتكبرين.

ومن عجيب اختراعاتهم الدمعة أن دموع

بعضهم تجري من غير عيونهم — تجري من اعضاء الجسم الاخرى ، ومن كل حواسه . فتبكي اليد مثلا على الاذن ،وتبكي الضلوع على الصدر، والصدر على الكبد ، والكبد على الكليتين . اسمع ابن المعتز يقول في موشح له :

« غشيت عيناي من طول البكا

وبكى بعضي على بعضي معي . »

ثم قال في المقطع التالي مكذباً نفسه :

« كلما فكر بالبين بكى

ويحه يبكي لما لم يقع . »

وهذا لعمري حال الاكثرين من شعراء الدموع . فهم اما مقلدون ، واما سباقون للحوادث المفجعة ، فيبكون قبل ان تقع . ومتى وقعت — اذا ما وقعت — ماذا يفعلون ؟ قد قيل لنا ، بالرغم من ذلك ، ان اطهر الدموع ، بعد دموع الامهات،

دموع الشعراء ...

الشعراء الصادقين ، نعم . سمعنا وآمنا . فالشعراء الصادقون ، على قلتهم ، فريقان ، فريق « يمثل في المحيط الباكي بكاه » ، فيبكون ثم يبكون ، فتتقرح كمدامع الخرفان مدامعهم ، وتبكي حتى الذئاب معهم . ان دموعهم كدموع النساء والاطفال ، ولها في الشعر قيمتها . اما الغلو في تقديرها فمنبوذ ، وكل نقادة شعر محترم الرأي يرفض النظرية التي ترفع الادب الباكي ، او قطعة من الشعر الدميع ، الى ذروة عالية من الفن .

اما الفريق الثاني ، من « يحملون من الالم رمز الالم » فهم لا يبكون ؛ ولا يستبكون . هم ينبهوننا ، يستيقظوننا ، يشحذون فينا سيف النقمة يستفزوننا لجميل الافكار ، وشريف المقاصد والاعمال . هم الذين تتمثل في انفسهم آلام الناس

فتفيض ، فتغمر الآمهم الشخصية كلها . [1]

ذكر بعض الادباء شعراء فرنسيين اشتهروا باحزانهم ، وامتازوا ، كما قيل ، بدموعهم ، وفي مقدمة من ذكروا الفريد ده موسه (Alfred deMusset) واستشهدوا به على « عظمة » الدموع لكبار شعراء الغرام والاحزان عندنا . وقد قالوا ان ده موسه ، بعد تمرده على البكاء ، راح الى لامرتين (Alphonse Lamartine) باكياً ، فرحب به بكلمة من كلماته الكبيرة في حب « عظمة الالام الانسانية . »

---

[1] وقد قال المؤلف في كتابه « ملوك العرب » الجزء الثاني ، صفحة ٣٨٥ —

« من مزايا الشاعر الحقيقي ان البؤس في الامة يحزنه حتى الالم ، فيصيح كانه هو الامة البائسة الموجوعة ، فيسمع صيحته من قد خشنت او تخدرت من الالام اعصابهم ، فيستفيقون طالبين الدواء والشفاء . . »

ومن مزايا الادب في تلك الايام ، وقل من امراضه ، الاكثار من لفظة العظمة ، التي استخدمت لوصف العصر بجذافيره ، من لصه الى اميره ، ومن اعلامه الى آلامه. ومع ان هذه المدرسة الرومنطقية (اللامنطقية ؟) قد اضمحلت ، فلا بد من كلمة وجيزة في ده موسه ، الذي استشهد به ادباؤنا وشعراؤنا الغزليون ، ليبرروا استرسالهم في الغرام والحزن والبكاء .

وخير الكلام في الموضوع ما كان لجهابذة الفرنسيس انفسهم . اني الفت الى ما يلي نظر الجاهلين ، واذكّر به العارفين ، من ادبائنا .

قال سنت بوف (Charles Sainte-Beuve)

ما معناه : ما صفا شعر موسه وسما الا بعد ان احب الشاعر ، واخلص في حبه . وانك لتجد مثال هذا الشعر في « الليالي » ومصدر جماله مزدوج . ان

مصـدره الالم ، وشغف النفس الاليمة بالحياة .
فالشاعر شاعر ، رغم الامه وأحزانـه ، بان ينابيع
الحياة لم تنضب ولن تنضب ، وان الجمال في الكون
لم ينقص ، ولن ينقص ، لا في روعته ولا في تنوّعه.
ولولا هذا الشعور الحي عـلى الدوام في ده موسه ،
لولا الشجاعة والتفاؤل ، ولولا الامل في تجـدد
الشباب ، وترداد آياته الخالدة ، من جيل الى جيل ،
كما تُردَّد في المروج ، وفي انوار الفجر والوان الغروب ،
وفي تغريد الاطيار ، وتفتح الازهار ، آيات الجمـال
الخالد ، لما كان لآلامه وقع حسن في القلوب ، ولما
قُبلت أحزانه واستُعذِبت مهما كان بليغاً ومهما كان
متأنقاً في تبيانها[1] .

---

(١) راجع مقالا لسنت بوف في الفرد ده موسه .

وقد قال النقادة الاكبر تاين (Hippolyte Taine)[1]

« شاخ ده موسه وظل شاباً . » فقد كانت ملائكة الاحزان تزوره ليلاً ، حتى في آخر أيامه ، وتهديه الى المصادر القدسية في الشعر . وقد رأى ده موسه من ذروات ريبه ويأسه جوامع الحياة وشواردها منبسطة أمامه انبساط السهول والبحار لمن يراها من أعالي الجبال .

على أن ده موسه ولامارتين وفكتورهوغو مدينون بشيء من روح الشعر الجديدة لشاعر تقدمهم هو الفريد ده فيني (de Vigny) وقد كان شعره فلسفياً رومنطقياً معاً . وان ده فيني ، في مغالبة الزمان ، والصبر على آلام الحياة ، لشبيه

---

(١) في كتابه « تاريخ الاداب الانكليزية » .

بالمعري ابي العلاء [1] .

ومن من شعراء اوروبه نظير هَيْنَه (Heinrich Heine)

في ما قاساه من الآلام ؟ فقد ظل هذا الشاعر اثنتي عشرة سنة طريح الفراش ، وهو في تلك السنين المرة يكتب النثر وفيه روعة نادرة ، وينظم الشعر وفيه السحر الخالد .

وبالرغم من آلامه وأوصابه كلها ، قلما نجد في شعره أنّةً مزعجة ، أو دمعة لا تصحبها نكتة أو ابتسامة . ذلك لانه كان خفيف الروح ، حلو المزاج ،

---

(١) خذ هذين البيتين من قصيدته « مصرع الذئب »

« Gémir, pleurer, prier est également lâche;
Fais énergiquement ta longue et lourde tâche,
Dans la vois où le sort a voulu t'appeler ,
Puis après, comme moi, souffre et meurs sans parler. »

وذا فكر فوق ذلك طوّاف محيط . فقد تغلغل في بحث الحياة، وأمعن في اغوارها وانجادها، فاضحكته فيها المتناقضات، وشحذت الأوهامُ قوة التهكم منه، كما جلت روحُ الحق روحه الثائرة الساخرة، الممزوجة بالطريف من المزاح .

اعيد ما أسلفت قوله، وهو ان الالم يرفع بالشعراء الكبار الى اوج المعرفة، فيرون الحياة كاملة بما ظهر منها، سابغة بما اتضح. ويرون كذلك الشعلة الالهية التي تنير لبها وحواشيها .

ولكن الالم غير الدموع . ومن السهل على من لا يفكرون تفكيراً صحيحاً علمياً أن يخلطوا بين الاثنين . ولا تظنن، أيها القارىء العزيز، ان الدموع هي التي طهرت فرنسه من أدران الظلم والفساد، كما قال احد الادباء الدميعين، بل هي الثورة التي ولدتها الآلام .

الدموع تسكن القوى ، والالام تثيرها .

والشعراء الكبار ، مثل أبي العلاء وهينه وده موسه ، قاسوا من آلام الحياة أشدها وأنواعها ، لما كان في زمانهم من جهل وظلم ، ووهم وفساد . ولكنهم لم يبكوا . لا ، لم يذرفوا الدموع . بل كانوا ثائرين متمردين ، داعين للثورة والتمرد ، داعين لجهاد الظلم والظالمين .

لقد هيج الالم فيهم الدم ، وماهيج الدموع.

لقد اثار الالم العواطف منهم ، وما اثار البكاء .

لقد انار الالم عقولهم بانوار العطف والحنان ، وأشعلها بنيران النقمة والجهاد ، فرفعوها عالياً في شعرهم ، هدياً وتحريضاً للناس .

ندب وانتداب

حدثنا الاستاذ صلاح اللبابيدي عن الاستاذ عبدالله اليافي قال: ان احد الالمان الذين اخرجهم حزب النازي (تُلفظ نَتْشي) من الخدمة، دخل على الوزير متظلماً لابعاده من الحكومة بداعي ان جده الخامس يهودي، فقال انه رجل الماني، خدم المانيه سنيناً طوالا، وانه مظلوم في ما ظن به، وفي عزله لذلك، وليس له مورد غير راتبه يعيش به هو وعائلته، وانه لا يستطيع عملا آخر.

قال ذلك وبكى. فانتفض الوزير انتفاض الناشط من عقال وقال: لقد برهنت ان الدم اليهودي لا يزال يجري في عروقك، لان الالماني

الحق لا يبكي في الشدائد ، وطرده من مجلسه.

وقد سمعنا من يحدث ان رجلا من الانكليز سمع مرة بعض المصريين يغنون ، وكأنهم ينحبون :

حبيبي راح والكأس بيده ،

يامن يرد لي حبيبي.

فسأل ما معنى ما يغنون ، فقيل له ، فرفع يده كمن يريد الملاكمة وقال : « من يأخذ حبيبي اجري وراه واكسر راسه. اما انتم المصريون ، فتقعدون وتنوحون. »

وقال ظريف سمع القصة كان الفرنسيس يغنون في ايام الحرب ، مثل المصريين ، اغنية اسمها « روزالي » ، فيقولون :

راحت « روزالي » ومن رآها يردها لي

ولكن الفرنسي في محنته هذه هو غير الانكليزي

وغير المصري . وقد يكون هجر « روزالي » اخف المحن عنده . فهو يلوح بيده ، وبروحه الظريفة ، الى الجيران كأنه يقول : من رأى بقرتي اوشاتي الشاردة ليردها من فضله .

واني لا اشك في ان عقليته في ما يجدّ له ، ويعده من خطير الامور ، هي في المحن كعقلية الالماني والانكليزي . فهو لا يبكي . واذا اعتدي عليه ، او حرم عزيز لديه ، يشمر عن ذراعه ويقاتل ليظفر بأمله المنشود .

اجل ؛ ان الفرنسي والانكليزي والالماني سواء من هذا القبيل . اما نحن فنئن ونتأوه ، ونندب وننوح ، ثم ننام على ظهورنا مستسلمين مسترحمين .

حبيبي راح ، يامن يرد لي حبيبي .

حريتي راحت ، يامن يردها لي .

استقلال بلادي راح ، يامن يرد لبلادي

استقلاله .

نحنا ، ونمنا ، وتوكلنا على الله . وجاء شعراؤنا يرثون لحالنا — يرثوننا . وجاء المغنون يعزون ، كل بنغمة جديدة — قديمة — من انغام الاسى والحنين ، والضنى والانين .

غيرنا تملك وصال

ونحنا نصبنا خيال

كذا العدل يامنصفين !

لا ، والله ، لا والله . نقول هذا وننام ، ننام ، ونحلم بنوح الحمام . واذا استفقنا متألمين نتذكر ، مثل ابن المعتز ، هجر الحبيب ، فنفرج كربتنا بالندب والنحيب .

غيرنا تملك وصال

ونحنا نصبنا خيال .

والحرية ، والاستقلال ، والقومية المنشودة —

حبيبي راح ، من يرد لي حبيبي .

واحريتاه ! واقوميتاه !

فهل تعيش امة في هذا الزمان وهذه نفسيتها؟

وهل تنال امة استقلالها المغصوب وهذا معقولها ؟

هوذا بيت القصيد في خطبتي بعاليه . واني اعود اليه في ختام هذه الصفحات ، لان الادباء ، في الحوار والجدال ، بعدوا منه ، وكادوا ينسونه .

اننا ، ايها الناس ، لفي المحنة الكبرى التي فيها موتنا كأمة ، وفيها حياتنا . فكيف نعمل لنخلص من الموت ، وكيف نعمل لنظفر بالحياة؟ انغني : حبيبي راح ، ونذرف الدمع ونرتاح — نموت ؟

ألا يثير الالم فينا غير الدموع ؟ ألا يثير فينا الدم ، والغضب ، والنقمة ، والتمرد ؟ ألا يستفزنا للعمل ، للجهاد ، او في الاقل للعصيان المدني ؟

قلت ، واعيد مـا قلت ، اننا سائرون الى الاستعباد — الاستعباد الاقتصادي. ان الربقة لهي اليوم امام عيوننا ، ولهي غداً في رقاب ابنائنا . وان النخاسون يصفقون لاغانينا المحزنة المبكية ، ويتمنون لنا الزيادة منها. كيف لا والدموع بنات الذل والخنوع .

ونحن نتحاور ونتجادل في الادب الباكي والادب الثائر — ادب الضعف وادب القوة — وايهما انفع لنا . والله لو كان حالنا حال غيرنا من الامم المستضعفة لما اختلف في المسئلة اثنان .

وهل في مثل حالنا يجوز البحث في ما اذا كان الشعر المبكي والاغاني المحزنة اعظم فنياً من تلك التي تحرك في النفس الخفة والطرب؟

وهلا يكفي ان اقول لكم ان النخاس يحب في عبيده الشعور الرقيق ، والاحساس اللطيف ؟ أفلا

تتنبهون ؟ افلا تفقهون ؟ واعلموا ؛ وقا كم الله خير النخاسين ؛ ان التاريخ لا ينبىء بامة واحدة كانت في ايام جهادها وتكونها على شيء كبير من الانتاج الفني . وكل ما كان فيها من فن ؛ وشعر ؛ وعلم ؛ وادب كان يسخر للغرض الاكبر من جهادها ؛ يسخر لحريتها ؛ ولاستقلالها ؛ ولتعزيز القومية والوطنية فيها .

نحن اليوم هذه الامة . وقد بدأ يشعر الكثيرون منا بان ادب القوة هو الزم لنا ؛ وان ادب الضعف لا يفيد غير المسيطرين علينا .

ان امر هؤلاء المسيطرين عجيب . قد يظن البعض من المتفائلين انهم في النهاية راحلون ؛ وهم يعللوننا بيوم المعاهدات ؛ يتلوه يوم الجلاء ..

اني اظن بانهم في ما يعللون غير صادقين . فهم في قلوبهم راغبون باحتلال يدوم ؛ وعاملون له

في سرهم — وفي جهرهم عندما الجهر يفيد. قلت: اني اظن — احس بسوء القصد — ويجب ان اضيف الى ذلك ما فيه الدليل، مما شاهدت، على انى في ظني وفي حسي متحفظ معتدل.

اجل، قد شاهدت في رحلتي السورية الاخيرة ما يرفع بظني وحسي الى منزلة اليقين. فما هذه الصروح الفخمة التي يبنيها الفرنسيس في المدن السورية الكبرى؟ هذه الصروح لمعاهدهم الاقتصادية والمالية، ولمعاهدهم التهذيبية، انها تكذب سياسة المعاهدات والجلاء.

رأيت في الشام وحمص وحلب بنايات للبنك السوري اللبناني كبيرة جميلة فخمة، تعيد الى الذهن كلمة من الكلمات النبوية: اعمل لدنياك كانك تعيش ابداً — اعمل لانتدابك كأنه دائم! اعمل لاحتلالك كأنه ابدي!!

فهل انت في ريب من ذلك؟ لولا يقين القوم انهم ثابتو القدم في البـلاد، او ان الانتداب، في الاقل، ثابت وطيد، ولا يتغير — اذا ما تغير — الا اسماً، لما كانوا يبنون هذه الصروح في المدن السورية الكبرى لمعاهدهم المالية والاقتصادية، ولما كانت المدرسة العلمانية الفرنسيّة تشيد هذه الابنية الكبيرة الجميلة في حلب وفي الشام.

فهلا انتبهنا، وهلا فقهنا؟

ان الانتداب يطوق البلاد باقتصادياته وثقافته، ويجيش من ابناء هذه الثقافة جيشاً ينفذ الكبير والصغير من اوامره. واذا شئتم من الايضاح المزيد، وفيه الحقائق مثبوتة بالوثائق، فدونكم كتاب الدكتور عبد الرحمن الكيالي الذي نشر اخيراً [1]

---

(١) رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سوريه ولبنان. طبع في المطبعة العلمية بحلب.

هو ذا الانتداب، وربقته اليوم أمام عيوننا، وغداً تصير في رقاب ابنائنـا . هو ذا الانتداب، ونيره الثقيل علينا كلنا اجمعين — عـلى تدمر ودمشق، وعلى الارز وصنين . فهل نظل ابـداً منقسمين، متنابذين، متخاذلين ؟ وهـل نداوي ادواءنا القومية بالبكاء والانين ؟ وهلا يجب علينا ان نسهل لابنائنا في الاقل سُبُل الجهاد، لانقاذ البلاد، وتحريرها من الاستعباد ؟

ولسنا وحدنا في هذه المحنة الكبرى، لسنا وحدنا سائرين الى الاستعباد . فالمصري والفلسطيني والعراقي يشكون ما نشكوه، ويئنون ممـا نئن. وان عندهم كـما عندنا من يسمون روح الضعف شعوراً لطيفاً وإحساساً دقيقاً ، وينكرون هـذا الاحساس، وذاك الشعور، عـلى من يناضلون، ويكافحون، ويجاهدون، ليخلصوا البلاد مـن

الادب الباكي ، وهو للمسيطرين كاحدى كتائب جنودهم الاستعمارية .

وهب ان المجاهدين قساة القلوب ، كما يزعمون ، غلاظ الرقاب ، وانهم لا يقدرون الشعور الرقيق في الشعر وفي الغناء ، فان اليوم يومهم ، ويا مرحباً بهم .

وما اصدق ما قاله أحد هؤلاء القساة القلوب : دانونزيو الشاعر الايطالي مهد السبيل للحركة الفاشستية . وكتاب الاسبان وشعراؤهم مهدوا السبيل للجمهورية الاسبنيولية . فلا يجب ان تكون الزعامة في الامة للسياسيين وحدهم اذن ، ولا للصحافيين والسياسيين فقط . بل يجب ان يشترك معهم ، ويتقدمهم ، الادباء والشعراء الحقيقيون الذين يفرحون بما يضمحل من شخصياتهم في سبيل الشخصية الوطنية القومية الكبرى .

اما الشعراء والادباء الذين يعيشون لانانيتهم

يدالونها ؛ ويكتبون وينظمون لتمجيدها ؛ ضمناً او صراحة ، ويتخيلون انفسهم من « الاولمب » ابناء الالهة ، او المندوبين عنهم فينا ، ويظنون ان الامة لا تنهض اذا لم تحلم احلامهم ، وتردد قوافيهم فتحزن لحزنهم ، وتبكي لبكائهم ، وتضفر بعد ذلك اكاليل المآتم لها ولهم ، فلهؤلاء الشعراء والادباء نقول : اننا في هذا الزمن العصيب لفي غنى عن شعركم وأدبكم . ولو كان الامر لنا لسخرناكم والله للعمل المفيد في أمة تنشد الاعمال المفيدة .

اخواني انتم ، فاسمعوا ، لوجه الاخاء ، هذه الكلمة . انكم لذو تبعة لانكم اذكياء ، وذكاء المرء محسوب عليه . فلو تشيعتم لحق وطني قومي ، وناضلتم عنه بكل ما أوتيتم من قوة ، ومن علم وبيان ، لتجددت فيكم الامال ، ولعادت اليكم

لذة الحياة الكبرى – لذة العمل الصالح المفيد للوطن .

لقد انكرتم علينا القول ان زينة الحياة القوة ، فقلتم ، وقد فاتكم ما شمل من كلامنا ، ان في الحياة غير القوة مايستوجب الرعاية والاجلال. اي ان فيها للعبقريين من رقة الشعور ، وعذوبة الارواح ، ما يتألف منه روعة الفن ، وطهارة الدموع . وأمام تلك الرقة والعذوبة ، وعند قدمي الروعة والطهارة ، يجب ان نخر ساجدين .

واني أقول لكم ان من ينشدون فناً لاوطن له يمسون ولا فن لهم ولا وطن .

«وان عظموا كيوان عظمت واحداً

يكون له كيوان اول ساجد .»

القوة ، ثم القوة ، ثم القوة ![1]

القوة العقليـة العلمية ، والقوة الروحية اللاطائفية ، والقوة المادية الاقتصادية .

يوم نظفر بهذه القوى كلها ، نصير امة حرة مستقلة ، عزيزة النفس ، عزيزة الجانب ، بـدون الاجانب .

فسقياً ليوم لا ندب فيه ،
ورعياً ليوم ليس فيه انتداب.

***

---

(١) يؤله مذ صار ابن آدم قوة
وما الكون الا قوة ونظامُ
حمى الغاب بأس الليث من كل طارق
ولم ينج من فتك البزاة حمامُ
الشيخ كاظم الدجيلي

خمس عشرة وصية أخرى للشعراء

١ ــ حرروا صناعتكم من « قفا نبك » و « سائق الاظعان » ــ ان عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم .

٢ ــ حرروا انفسكم من القيود التي تحول دون الابداع والتجدد ، ودون الصدق في الشعور ، والحرية في التفكير .

٣ ــ خذوا بيانكم ــ مجازكم واستعاراتكم ــ من لوح الوجود ، ومن الحياة ، لا من الكتب والدواوين .

٤ ــ ليكن في خيالكم حقائق كونية وبشرية ، وليشع من هذه الحقائق الخيال .

٥ ــ انظروا الى الكون من خلال انفسكم الشاعرة الباصرة ، ولا تنظروا الى انفسكم من خلال الاوهام . الشاعر صوت ونور ، وما فيه سوى ذلك هو باطل زائل .

٦ ــ لا تسرفوا في البيان ، ولا تطنبوا في بث لواعج النفس . فان من أفصح الكلام الوقف ، ومن أبلغ المعاني الاشارة بل السكوت .

٧ ــ حافظوا على التناسب والتوازن بين الصيغة والمعنى ، وبين القلب والروح . اذا كنتم طائرين مثلا ليكن القول خفيفاً مجنحاً ، واذا كنتم متألمين او ناقمين لتكن الامواج اللغوية من ذوب الحديد .

٨ ــ تجنبوا السخافة في الفكر والوصف ، وفي الصور الشعرية والخيال . لا تسخروا القمر والشمس مثلا لما سخرهما قبلكم الف شاعر وشاعر

٩ ــ لا تدخلوا المواضيع من الأبواب التي دخلها قبلكم جميع الشعراء المقلدين ، فتتعثرون بعظامهم ، ولا تنجون من قبورهم .

١٠ ــ ليكن لقصائدكم بداية ونهاية ، فلا تُقرأ طردا وعكساً على السواء .

١١ ــ لا تعصروا قلوبكم كأن تتعملون رقة الشعور ، ولا تعقدوا أفكاركم كأن تتعمدون الغموض والابهام .

١٢ ــ تحروا البساطة والصدق والاخلاص ، فكراً وصناعة وخيالا .

١٣ ــ لا تنسوا وطنكم في حبكم الانساني ، ولا تنسوا الانسانية في نزعاتكم الوطنية .

١٤ ــ ارفعوا للناس مشاعل الاباءة والشرف ، والقوة والعدل ، والشجاعة والثبات ، والامل والايمان .

١٥ — وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، كفكفوا دموعكم — كفكفوا دموعكم. فالشمس لا تزال لكم، والقمر لا يزال رفيقكم، والربيع لا يخونكم.

انتهى

الفريكة — لبنان
في ١٢ آب سنة ١٩٣٣ و ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢

يطلب من
مكتبة الكشاف ومطبعتها
شارع المعرض · بيروت